فإن صاحبها يأتي الساعة ، فلما كان بعد الساعة أقبل النصراني راكباً على بغلته ، فترجَّل على باب المسجد ، ودخل ، فأكبَّ على عبد الله يقبِّل رأسه ويديه ويقول : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

قال : فبكى إبراهيم فرحاً به وسروراً وقال الحمد لله الذي هداك للإسلام وشريعة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام[1] .

* * *

كيف كان صبر رسول الله ؟

منذ بُعِثَ رسول الله صلوات الله عليه حتى هجرته ، لم يذق طعم الراحة قطّ ، إنما العذاب من المشركين ، فماذا كان موقفه ؟

لقد عذَّبوه فصبر ، كذبوه فصبر ، أخرجوه من داره فصبر ، حتى قال عليه الصلاة والسلام :

« ما أوذي أحدٌ مثلَ ما أوذيت في الله »[2] .

اتهموه : بأنه مجنون! وشاعر! وكذَّاب! وكاهن! . . .

لكنه انتصر عليهم بسلاح الصبر ، ودخل الناس في دين الله أفواجاً ، ومن صبره صلوات الله عليه ما جاء في السِّير وكتب التاريخ من ذلك :

أن أبا جهل دخل بيت الله الحرام فوجد النَّبي عليه الصلاة والسلام قُرب الكعبة ، فخرج ثم عاد ومعه عقبة بن أبي معيط ، وهما يحملان فرث (كرش) بعير ، وانتظرا حتى سجد عليه الصلاة والسلام فألقوه عليه!! وكان المسلمون يومها ضعفاء وقلَّة ، لم يستطع أحدٌ منهم أن يدافع

---

(١) بتصرف من المستطرف للأبشيهي : ١٥٩ .

(٢) من كنز العمال: ٥٨١٨ .

عنه ، وبقي الرسول ﷺ تحت الفرث حتى جاءت ابنته الزهراء فاطمة فأزاحته عنه . . . وكلنا يعلم ما جرى معه حينما ذهب يدعو أهل الطائف .

وفقد أولاده كلهم : القاسم وعبد الله وزينب وأم كلثوم ورقية وإبراهيم فصبر صبراً جميلاً .

ثم أتاه أحد المسلمين لما اشتدَّ العذاب عليهم وقال : يارسول الله ، ألا تدعو الله لنا ؟ ألا تستنصره ؟ فلقد أوذينا وعُذِّبنا . فأراد الرسول عليه الصلاة والسلام أن يعطينا وإلى قيام الساعة درساً في الصبر ، فقال :

« إن من كان قبلكم ليؤتى بالرجل فيُحفر له في الأرض حفرة ، ويُجاء بالمنشار فيوضع على رأسه ، فيُجعل فرقتين ما يصرفه ذلك عن دينه »[1] .

* * *

سبيل الراحة :

أفاض شعرنا العربي بالروائع من خلال حضِّه على العمل ، من ذلك ما قاله ابن شهاب :

تتبَّع خبايا الأرض وادعُ مليكها ... لعلَّك يوماً أن تُجاب فتُرزقا
فيؤتيكَ مالاً واسعاً ذا متانةٍ ... إذا ما مياه الأرض غارت تدفَّقا

وقال شاعر آخر :

بَصُرْتُ بالراحة الكبرى فلم أرها ... تُنال إلا على جسر من التعب

وقال آخر :

وما طلب المعيشة بالتمنّي ... ولكن ألْقِ دلوكَ في الدِّلاء

---

(١) للتفصيل راجع سيرة ابن هشام ص ٦١ وما بعدها .